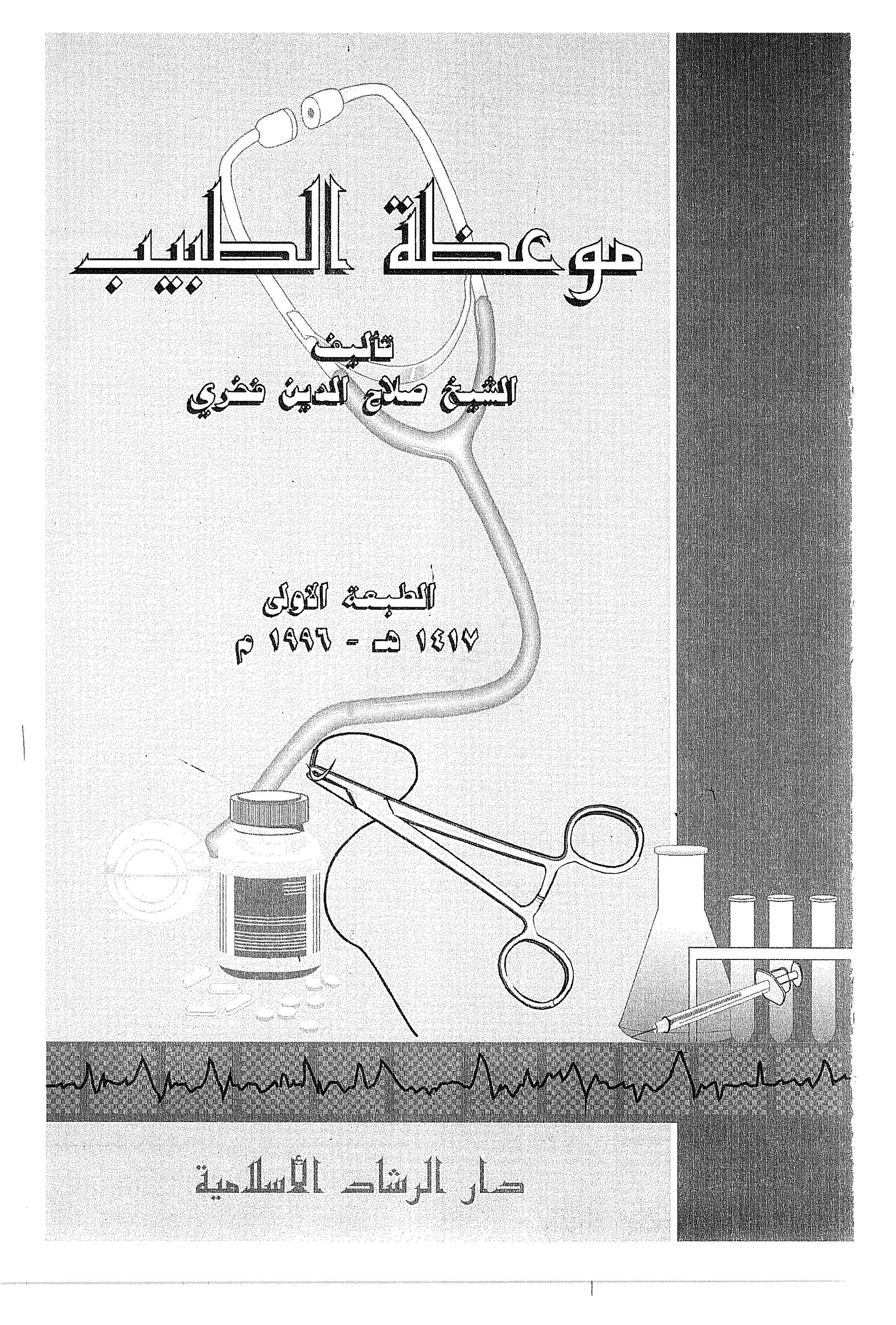
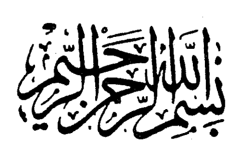
موعظة الطبيب

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ-١٩٩٧م

تلة الخياط ـ خلف حديقة التلفزيون
قرب بناية المختار
هـ : ١٣١٣٣٤٧
ص. ب: ١٤/٦٣٨٢
بيروت ـ لبنان


موعظة الطبيب
تأليف
الشيخ صلاح الدين فخري
الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م
دار الرشاد الإسلامية



المقدمة

الحمد لله الذي رفع شأن العلماء، وأشهدهم على وحدانيته، دلالةً على قيمتهم، وفِقْهِهم عنده، والصلاةُ والسلامُ على معلم الناس الخير سيد العلماء، وأهل المعرفة، سيدنا محمدٍ وعلى آله الأطهارِ، وأصحابه الأبرار.

وبعد، فإنَّ الإنسان كثيراً ما يحتاج إلى من يُذَكرهُ، إذ النسيانُ له عادة، ويحتاجُ إلى من يُعرِّفه إذا الجهلُ ٱرتادهُ، ويستعين بمنْ يدله ويهديه إلى سواءِ السبيلِ إن أضلَّهُ، ويرده إلى جادَّة الحق والهدى والخير.

وكم كان للكلمة المكتوبة ضياءٌ يشع في قلب القارىء فيجدُ بين يديه محاسن الذكرىٰ فيعودَ إلى صوابه، وتنكشفُ رواسبُ الكَدَرِ والنسيان والغفلة عن نفسه، فيردَ الحق إلى نصابِه والعقل السليم إلى صوابه.

والحياةُ التي نعيشُ، مليئةٌ بالمآسي المحيطة بالإنسان إحاطة السِّوار بالمعصم. ومختلطةٌ بحياته اختلاطَ الماء بالعود الأخضر.

ومنْ هذا القبيل يحتاجُ المرءُ للموعظة يخلو بها بينَه وبين نفسه، ويزكِّي بها روحه وقلبه وعقله.

وبالخصوص إذا كان ذا مهنةٍ شريفةٍ تتعلق بالبشر فيدفعُ عنهم شراً، أو يجلبُ لهم منفعةً، إذْ أحبُّ الخلقِ إلى الله أنفعُهم لعياله، أي مخلوقاته الذين يحتاجون إليه.

لذلكَ وضعتُ هذه الرسالة ـ الموعظة ـ خاصةً بالأطباء لتكونَ لهم بمثابةِ ميزانٍ ومعيارٍ وتبصرةٍ.

وقد وضعتُ فيها بعض المسالكِ الكريمة، والمواعظَ الثمينة، والعبَر الرخيمة التي يحتاجُها أطباءُ هذا العصرِ الذي امتلأ بالمتغيرات.

عسى أنْ يصل قارئُها ـ الطبيبُ ـ إلى جلِّ المحامد، والعُلا من المحاسن.

وقد قصدتُ بذلك رضاء الله تعالى، عسى أنْ أنالَ دعوةً صالحة من أخٍ مخلصٍ ـ بان له قصدي ـ فقرأَ واعتبر، وتفكَّر متعظاً، فتاب وأناب، فصدقَ فأفلح فَنَجا.

* * *

اللهم انفعنَا بعلمِنا

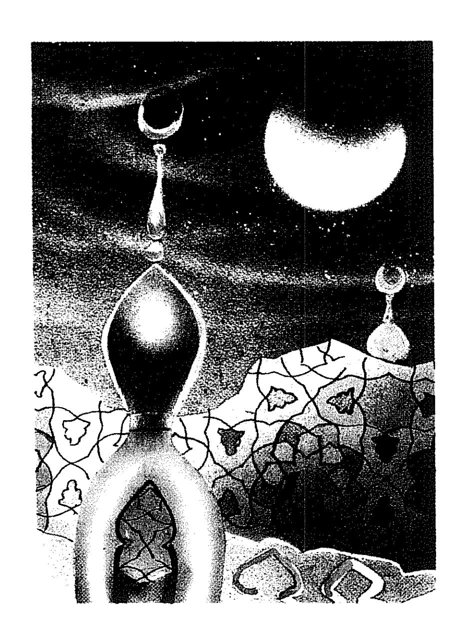
وعِلْمَنا ما ينفعُنا

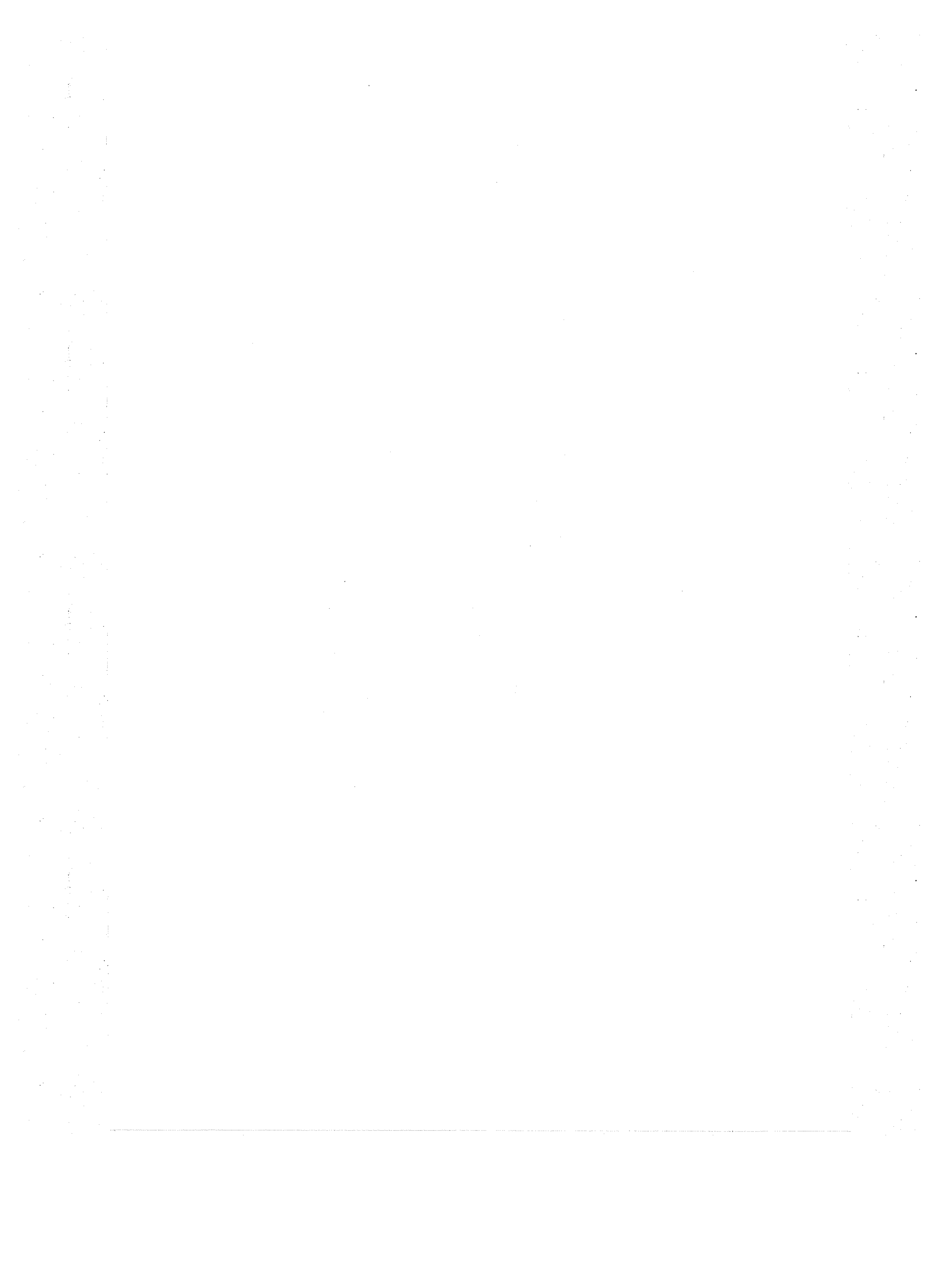
يا ربَّ العالمين.

المؤلف

الشيخ صلاح الدين بن خضر فخري

غفرَ الله له





سبب توجيه هذه الموعظة

أخي القارىء.. من المعلومِ أنَّ الحياةَ مليئةٌ بالشواهد، وممتلئةٌ بالأمثلة، ومنوطةٌ بوابلِ العبر والفكر، والتي يَستلهِمُ منها الفَطِنُ مواقفَ حميدة، ويستفيدُ منها لمتابعة الحياةِ التي يعيشها.

وكلما خالطَ الإنسانُ أبناءَ مجتمعه وعايشهم في العمْقِ والصَميم، استطاعَ أنْ يستخلصَ مزيجاً حياً من واقعِ الحياة العملية والفعلية. فيعيشُ مع الناسِ، ويفكر بهم، ويحمل معهم همومَهم، ويخفف عن كواهلهم بعض أثقالهم، ومنْ أهمَّ ما يُثقلُ الكواهلَ في عصرنا، ويتعبُ الناس الفقراء والأغنياء على السواء، ويشغلُ بالَ الصغيرِ والكبير منهم، المرضُ، والاستشفاءُ، والتطبيبُ، والمعالجةُ، والدواءُ...

فأروني رجلاً، أو امرأةً، أو شركةً، أو مؤسسةً، لا تشكو الكلفةَ الباهظة لمداوةِ الأمراضِ والمعالجاتِ، فقد رزحَ الجميعُ تحتَ وطْأة التكلفةِ، دواءً وعلاجاً، واستشفاءًا.

وكم من طامةٍ كُبرىٰ ومصيبةٍ عُظمىٰ، إنْ وقع مريضٌ بين يدي طبيبٍ، يستغلُ مهنة الطب الشريفة، ليغنى على حسابِ آلام الناس وأمراضهم وأوجاعهم.

لذا أردت أن أوجه هذه الرسالة إلى كل طبيبٍ أعطاه الله الفهمَ والعلم، وملأَ قلبه رهبةً منه ورغبةً إليه، راجياً أنْ يكون يداً أمينة، يحفظُ أسرار شرف مهنته، فيكونَ طاهر القلبِ والضميرِ، رقيق الحس رهيف الوجْد.

أقدم رسالتي ـ الموعظة ـ هذه إلى كل طبيبٍ فاهم أذكرُ فيها حقائقَ شاهدتُها، وأموراً سمعتُها، ووقائعَ عاصرتُها وحوادث علمتُها.

أجل أيّها الطبيب ـ الصادق ـ إنَّ الناس يحتاجون إليك أشد من احتياجهم إلى الماء البارد على الظمأ، يحتاجونك لتُضيء لهم طريق الصحةِ، وتدلَّهم على لوامِع العافية، عسى دفعُ المرضِ عنهم يفتحُ لهم أفق الحياةِ فيكسبهم أملاً.

وليس العظمةُ أن تغنىٰ وتبقىٰ، بل العظمةُ، برٌ يزينُ، وعملٌ رصينٌ، وثناءٌ له في الدنيا والآخرة رنينٌ.

قيمة المهنة

قيمــةُ الإنســان مــا يُحسِنُــه
أكثــرَ الإنســانُ منــهُ أو أقــلْ

لأنه يشرفُ ويرقىٰ بهذه القيمة التي يحملُها، والقلادة الرائعة التي يلبسها، والدثارِ الذي يحوطه ويتجملُ به. وأجملُ المِهن وأعلاها قيمةً ورفعةً، مهنةُ الطب والتطبيب، حيث لها علاقة ارتباطٍ وشعور ومودةٍ بين الطبيب والمريض، فيحاولُ إزالة الآلام عن الآخرين، ويخففُ أوجاعهم، ويبلسم جراحهم، ويغرسُ في المتألم فُسحةَ أملٍ وبحبوبة بريق.

وأذكر أنَّه في الزمان الغابر، والسنين الماضية، والتي كان للطبيب فيها ميزةٌ رائعةٌ، ووقفةٌ مع الضمير، حيث كان من يريدُ دراسةَ الطب، يُختارُ من الأشرافِ الأغنياء، ومن علْيةِ القوم ورفعتهم، والقصدُ من هذا ليكونَ مستقبَلاً عفيفاً في يده، نقياً في قلبهِ، بعيداً عن المطامعِ والمزامع، غير راغبٍ، لا يتخذُ مهنته

سلَّماً للوصول إلى غاياته ومقاصده، حيثُ أنَّ المهنة تفرضُ عليه خلاف ذلك، بلْ ينظرُ إلى روعة ما رُزق من العلم، وسخَّرَ للخدمة، متقلباً بين أسرار عمله، مُتْقناً في فعله، يعيش أحاسيس المجتمع من حوله. غير هيَّابٍ بمالٍ أتىٰ أم ذهب.

مع التسليم بأنَّ الغنىٰ ليس عن كثرة العرض والمال، واقتناءِ القطع الأثرية، النادرة الثمينة، إنَّما الغنىٰ هو غنىٰ القلبِ والنفس والضمير. ووقوفُها أمام بابِ القناعةِ والرضا. قال الشاعر:

هــي القنــاعــةُ فــالْـزَمْهـا تكـنْ مَلِكـاً
ولـو لـمْ يَكُـنْ منـكَ إلا راحـةُ البـدنِ
وانْظُـرْ إلـى مَـنْ مَلَـكَ الـدنيـا بـأجمعِها
هــل رَاحَ منهــا بغيــرِ القُطْــنِ والكَفــنِ

وأغلبُ الأطباء الذين نعرفُهم من عائلاتٍ متوسطةِ الغنى، مستورةِ الحال، قد اجتهدُوا باذلينَ وساعين بطرقٍ شتىٰ، حتى وصل ولدُهم الطبيب إلى ما هو عليه اليوم، من مهنةٍ شريفةٍ فأتمها وأحْسنَ فيها، وهذا يدلُ على بطولةٍ ومثابرةٍ ودأبٍ وجهادٍ لا يُوصفُ.

ولكن المدهشُ في هذا، والغرابةُ تكمنُ فيه، أنَّ أغلب الأطباء ـ وكثيرٌ ما هم ـ بعد التخرُّج يأتي أحدهم فاغِراً فاه مشدوهاً مزهُوّاً، واضعاً بينَ جبينِهِ الغوصَ في كثرةِ المالِ والغِنى، والمقتنيات، يُقَلدُ الآخرين، ويسيرُ على نهجِ التائهينَ.

وأعْرِفُ طبياً فتحتْ له أبوابُ الأموال، ومواردُ الأرزاق، فيجمعُ من هنا وهناكَ، حتى إذا ما ادَّخَرَ ما يكفي أمةً جلسَ إلى طاولة القمار فيذوبُ ما حصَّله وجمَعه وهكذا دواليك.

ليس عيباً أنْ يسعىٰ الطبيبُ وراءَ حياتِه ليسدَّ حاجاتِها، ويسيرَ وراءَ مقاصده فيحققُها.

ولكن السيءُ في هذا وذاكَ، أن يجعلَ الغِنى وتحصيل المال هو الهدفَ الأساسيَّ في عملِه، والركنَ الركينَ في تصرفاتِه، فيطْغىٰ المالُ على رقةِ مهنتِه، وروعة عمله ﴿**أنْ رآهُ اسْتَغْنىٰ**﴾ فيميلُه عن جُلِّ مقاصده وأهدافه. فيقلُّ نفعُه، ويخبو خيرهُ وبرُه.

ومنْ وضع الدنيا وراءَ ظهره، وقذفَها خلفَهُ، أتت إليه راغمةً مجبرةً تخدمه وتقدمُ له ما يريدُ من متاع ﴿**وما الحياةُ الدنيا إلا متاعُ الغرور**﴾ أما مَن وضعها تلقاءَ وجهه وسعىٰ لها بكله، وغرسها في قلبه وسره، لن يدْرك منها ما يَبْتَغي ويريدُ، بل إنْ وصل إلى بعضِ غاياتِه أهلكَهُ الجهد، وأتعبَه الغِنى.

أيها الطبيبُ العالم:

حافظْ على قيمةِ ما تحملُ فتنجحَ وتفلح، وكُنْ كما كان السلفُ الطيب، تَحملُ في طياتِ رقيقِ قلبكِ الخير والبر والعطاءَ والكرم.

أيها الطبيب
تذكر قسمك واحذر الوقوع في الحرام

خلق الإنسانُ هلوعاً، إذا مسّه الشر جزوعاً، وهو بطبعهِ ضعيفٌ أمامَ العاتياتِ، يهوىٰ ـ غالباً ـ أمام المغرياتِ، إلاَّ من رحمَ ربُك فحفِظه من شرِّ المهلكاتِ العادياتِ، والإنسانُ خوَّانٌ أثيمٌ، يكيدُ ويحلف ويكذبُ ولو وثَّقتَهُ بمواثيق، وعقدتَ معه العهودَ والمواعيد.

﴿**إنَّ النفس لأمارةٌ بالسوءِ**﴾ والمؤاخذةُ الكبرىٰ، والمحصلةُ العظمىٰ إذا عقدَ الإنسانُ أيْماناً، وأقسمَ مغلظاً، ثمَّ بعد ذلك أوجدَ الأعذار لنفسه ليتحلل من ذلك ظاناً أنه قادرٌ على الخروجِ، فيسلُكَ الحيل الشيطانية، والأساليبَ الملتوية، ليكذب على نفسه ويلبِّسَ على الناس من حوله.

وقد جرتْ العادات بين الخلائقِ والناسِ، أن يعقدوا

الأيمانَ بما يَحفظُ عهدَهم ووعدَهم، وخاصة في الأمورِ الدقيقةِ والأحوال الرفيعة من المهنِ الشريفةِ والأعمال المتبعة، ليحفظ لهم استقامتَهم، ويثبتوا على كرامتهم، وما هو معلومٌ حقاً، أنَّ الجنديَّ والمحامي والطبيب وغيرَهم من الذين حملوا معانيَ فيها خدمةٌ للناس، يقسمون عند تخرُّجهم وانتهاءِ دراستهم أيماناً مغلظةً، أمامَ الملأ.

إنَّ الثقاتِ عليهم واجبٌ ضروري وعهدٌ ينبغي أن لا يُخْلِفُوه.

١ ـ أنْ يُحافظوا على شرفِ المهنةِ دوماً.

٢ ـ أن لا يحملوا غشاً ولا خِداعاً للنَّاس في قلوبِهم.

٣ ـ أن يكونوا أوفياءَ في أداءِ مهماتِهم.

٤ ـ أن يعلموا أنَّ الله مطلعٌ على أعمالِهم وأفعالهم.

٥ ـ أن يُوقنوا أنهم محطُ أنظارِ الناس وألسنتهم.

فكنْ أيّها الطبيبُ على قَسمِك محافظاً، فالمريضُ يُسْلِمُ نفسَه إليكَ ثقةً بك، وإيماناً، فهو أمانة بينَ يديك كالميتِ بين يدي مُغَسلِهِ.

ولا تكنْ كالطبيبِ الذي هوىٰ فهوى، وأراد أن يَدُلَّ فَضَلَّ.

وكمْ من طبيبٍ ظهرتْ له علاماتٌ فلمَّا علاَ مات ـ أي مات قلبُه وضميرُه.

وكمْ من طبيبٍ ظنَّ أن الدنيا له قد حلتْ فإذا بها قد أوْحَلَتْ.

وكمْ من طبيبٍ ظنَّ أن الدنيا له قد سَخَتْ فإذا بها قد أوْسَخَتْ.

واسمع ما أقول لك:

فقد أتاني طبيبٌ يشكو قلبَه ونفسَه، فقد أضَلَ الطريق، وابتعد عن التحقيقِ، ورأيتُ دموع الندمِ تحكى في عينيه الأسفَ والحسرة.

والقصةُ أنَّ امرأةً أصابها مرضٌ ما، فأتتْ إليه، فعاينَها، ووقف على حقيقةِ مرضها، فوصفَ لها الدواءَ، وأمِلَ لها بالشفاء، وطلبَ منها إعلامَه عن مراحلِ تعاطي الدواءِ، كما هي العادة، ليستقين أنَّ الأمرَ يسيرُ على ما يرامُ ويُراد.

فلما عادتْ مرةً أخرىٰ، أسلمت نفسَها إليه فعاينها، واطمأن إلى صحتها، ولكنِ المرأةُ شابةٌ عليها مسحةُ جمالٍ، وفيها المحاسنُ من الأوصافِ المغريةِ، والطبيبُ ما زال شاباً يافعاً من العمر، ولكنه متزوج مستور الحال.

وكما ذكرَ لي، فقد كانتْ هذه المرأةُ تقومُ بأساليب عجيبةٍ غريبة، فتحركتْ لها نفسهُ وسوَّل إليه الشيطانُ محاسنها.

وبعد التي واللتيا، وقع بها والعياذ بالله تعالى. ونالتْ منه

ونال منها، إلى أن تكرر هذا الحالُ، وانتظمَ على هذا المِنْوالِ، إلى أن أدركَ نفسَه، وتيقظَ ضميرُه، أنَّ ما يفعلهُ قادَهُ ويقودُه إلى الهاويةِ والضلال.

ففتحَ بابَ الندمِ بعد أن ضاقتْ عليه الدنيا بِرحْبها، وأظلمتْ عليه بكُلِها، فأتاني مستَنْجِداً ومسترشِداً ونادماً.

«ولاتَ ساعة مندم».

فلما علمتُ ذلكَ دُهِشْتُ ووقفتُ في حَيْرةٍ من أمري. فأكثرتُ فيه وعظاً وإرشاداً وأظهرتُ له حكمَ الله تبياناً وتفصيلاً، وذكرتُ له الوعيدَ الشديدَ.

فَجَهِشَ بالبكاء، وشَرقتْ نفسه تنهداً، حتى أنَّ الناظرَ إليه يظُنُّ أنّ روحَهُ على وشكِ الخروجِ من جسدهِ. فنصحتهُ بنصائحَ عديدةٍ منها:

أولاً: أنه قد اقترفَ ذنباً لا يغفرُه الله إلا بالتوبةِ والإنابةِ وعندَ الله الحساب.

ثانياً: أنْ يداومَ على الاستغفارِ من الذنوبِ ويجعلَ ذلك له وِرْداً يومياً.

ثالثاً: أن يتذكر أنَّ الله يراقبُه في جميعِ أعمالِه وتصرفاتِه.

رابعاً: أنْ يتذكر قسمَه الذي أقسمَه أمام المئاتِ من الناسِ عند تَخَرُّجِه، وأنْ كلَ حاضرٍ يومَها شاهدٌ عليه يومَ الدين.

خامساً: أنْ يأخذَ إجازةً «خمسةَ عشرَ يوماً» ويقفلَ عيادته ليُريحَ نفسه وينسىٰ مَنْ تعلق بها.

سادساً: أنْ يهدد المرأة بأنَّه سيخبر زوجها إنْ أتتْ إليه مرةً أخرى.

سابعاً: أن يقتصرَ في معالجةِ النساءِ ولا يبصر منهن إلا إلى مكانِ الألم.

ثامناً: أن لا يختليَ بمريضةٍ مطلقاً إلا إذا كانت واحدةٌ من محارِمها أو سكرتيرته معها حاضرةً.

وليسأل الله الحفظَ والسلامة.

وأنا أعلمُ أنَّه يوجدُ من الأطباء الأتقياء الذين تسربلوا بالنزاهةِ والعفةِ، ولَبِسُوا ثوبَ الإخلاص والصدق، وهم كثيرونُ والحمد لله.

مَـــنْ ذا الــذي مــا ســاءَ قــطْ
ومَـــنْ لـــه الحسنـــى فقـــطْ
محمـــــدُ الهـــادي الـــذي
عليـــه جبـــريـــلُ هبـــطْ

وهذا لا يكونُ إلا لإنسانٍ معصومٍ كالأنبياء، ومحفوظ بحفظِ الله تعالى، إذ العصمةُ لا تكونُ إلا لنبي. وقد وردَ: كلُ ابنِ آدمَ خطأٌ وخيرُ الخطّائينَ التوابون.

اللهم احفظنَا بحفظِك يا كريم.

الأمانة العلمية

يوجدُ في بلدنا لبنانَ آلافٌ من الأطباء، ومن جميع الإختصاصات، وكما حدثني بعضُ الأطباء أنه قدْ أصبح عندنا تضخمٌ في الطب، حتى قال لي الدكتور عبدُالله العجوز حفظَه الله إن إحصاءاً يقول: إنَّه يوجدُ في لبنان أطباءُ أسنان بحيثُ يكونُ لكل عشرة آلاف طبيب واحد.

المستقبلُ يعدنا بالتضخم لجميع الاختصاصات، خاصةً ونحنُ في عصرِ العلم والرقِّي والتقدم.

ولكنْ ـ من المعلوم ـ أنَّ الموضوع ليس بالكم، ولا بالعدد، وليس بالكثرةِ الكاثرةِ، بل بالضبطِ والإتقانِ، والصدق والإخلاص، والغَيْرة على المرضىٰ عامةً، وعدم اتخاذِ المريض سلعةً يُتاجر بها.

وإنِّي أعرف ثلاثةً من الأطباء، الذين حازوا الشهادةَ الطبية،

قد تركوا مهنة الطب، وزاولوا مهنةَ التجارة، وغيرهم كذلك من غيرِ اختصاصهم فعل ذلك.

ولكنْ ما نحتاجه اليوم ونشدد عليه، أنْ نحفظ الأمانة العلمية، ويُصان بريقُها، وتكون محفوفةً بالصدق في العمل والعطاء، نحتاجُ إلى تلك العقول العلمية الأمينة، نريدُ أنْ يكون الطبيبُ صدوقاً في عمله، أميناً على مهنته، يصونها من الزلل والتلاعب.

نحتاجُ إلى الجهود المخلصة التي تَبُثُ الخير وتنشرُ الإبتسامة المطلوبة، التي هي أملُ المريضِ من الطبيب المخلص، بحاجةٍ إلى الطبيب الأمين الذي يستبشرُ فرحاً لشفاءِ مريضه وعافيته وقد تخلَّص ـ بجهودِه ـ من كل ألمٍ ووجع.

وإذا كان الفلاَّح يشرَئِبُ فرحاً لرؤيته أشجاره باسقةً، وثمارُها متدليةً، فالحريُّ بالطبيب أن يعلو فرحاً، ويشتدَّ سروراً، إذا رأى منْ عالجه، وقدَّم له الدواء، وسهر على راحته قد نَما عودُه، وقوي جسمُه، وعادتْ إليه صحتُه وعافيتُه، هذا الطبيبُ الأعزُ الذي يبذُلُ جهده ووقته لمريضه، إذا رآه بهذه الحالة ـ وقد أشرق عافيةً وصحةً ـ يمتلأُ أيماناً بالله، وثقةً بعملِه، وراحةً لضميره ونفسه.

وزَكَاةُ العِلْمِ العملُ والمثَابَرةُ.

ومن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، وكل شيءٍ ينقصُ بالنفقة إلا العلمُ فإنَّه يزكو بالإنفاق.

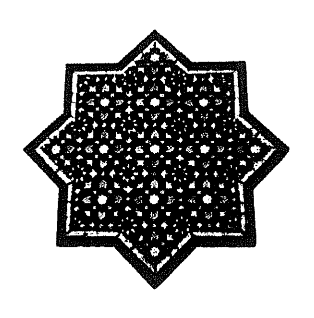
فضريبةُ العلم إخلاصُه، والثباتُ عليه، وزكاةُ الطبيب غيرتُه واهتمامه بمريضه وحسنُ مداواته.

نحن لا نريدُ كثرةً من الأطباء، بل ما قلَّ وقر ونجح وأخلص خيرٌ مما كثر وفرَّ وفشل وخدع، بل نريد من يحمل هذه المهنة بأمانةٍ وإخلاصٍ، يحافظُ عليها، ويحرصُ على صيانتها، ويحميها من التلوثِ، ويخافُ عليها من الضياعِ والفشل، لأنها جوهرةٌ مكنونةٌ، ونعمةٌ مخزونةٌ، فلا يظهرها إلاَ بصدقٍ وإخلاصٍ ووفاءٍ وخير.

إن كنت كذلك أيها الطبيب، فإنَّك تستحق هذا اللقب:

«طبيبٌ حافظ على مهنته فحفظته مهنته».

هذه هي الأمانة العلميةُ المطلوبة، والغاية المرجوَّة المقصودة.



نصائح

لقد أسبغ الله نعمَه ظاهرةً وباطنةً على الإنسان ـ نسي أو تذكر ـ ومن أجلِّ هذه النعم، نعمةُ الصحة والعافية.

فإذا أحسن الإنسان الاستفادة من هذه النعم، وحافظ عليها وعزَّزها وقوَّاها ونمَّاها، فقد سلك طريق الخير، ودروب العافية، واستمتع بخيراتها وبركاتها. وازداد إنعاماً، ونجا من الأمراض عامةً، ومن الأوبئة خاصةً.

وأما من ترك وراءَه العناية والاهتمام، وسلك الطريق المنافي للصحة، غير آبِهٍ بالعواقب، وتناول الضارَّ لصحته والمؤذيَ لعافيته.

فقد ساهم في إفسادها وسقمِها ونال جزاءً وفاقاً.

وقدْ يُصيب الإنسانَ مرضٌ أو آفةٌ سماوية، وقد يبتلىٰ بهنَّةٍ من الهنَّات، وببلاءٍ كبيرٍ، فيحتاج عندها إلى طبيب ذكي حاذقٍ

ليسلم نفسه إليه، ليداويه جاهداً وباذلاً خبرته وتجربته.

فيقفُ على مرضه وأسبابه الظاهرة، فيصف له الدواء الصحيح فيوافق ـ بإذن الله ـ شفاءً وبُرْءاً.

وما يحتاجه المريضُ المتألم والمصاب، هو لمساتٌ من أنامله المخلصة ليعالجه بروحٍ فيها شفافيةٌ وشعورٌ ورقةٌ.

وهانذا أهدى إليك ـ أخي القارىء ـ نصائح وإرشاداتِ عسى أن تنتفع بها:

أولاً: يجب أنْ تعلم أن صحتك أمانةٌ بين يديك فلا تفرط بها.

ثانياً: الصحةُ عنصر من عناصر الحياة لا تكتمل إلا باتباع أسبابها وموجباتها فاتَّبعها.

ثالثاً: حافظ على الميزان الصحي بأن تكون معتدلاً في شتىٰ المجالات.

رابعاً: عليك أنْ تسعىٰ بالوسائل السليمة لتنمية صحتك لتضمن استمرارها.

خامساً: اتبع نمطاً خاصاً يضفي العافية على صحتكِ، ببرنامج بعيد عن الارتجال.

سادساً: اجتنب السلوكيات السلبية المنافية للصحة.

سابعاً: اتبع النصائح والإرشادات الطبية دائماً.

ثامناً: اتبعْ الإرشادات العلمية والثقافية المتعلقة بالصحة.

تاسعاً: تحرى أساليب التغذية المتوازنة والمدروسة.
عاشراً: أسلك طريق النظافة الإجمالية في كل عملٍ تقومُ به.

مثل:
١ ـ غسل اليدينِ قبل الطعام.
٢ ـ غسلُ جميع الجسم والفم وجميع الأعضاء.
٣ ـ ممارسةُ النشاط بأنواعه.
٤ ـ القيامُ بما يطلبُه الجسم باعتدالٍ وتوازنٍ.

اللهم إنا نسألك العافية في أجسامنا، وجمِّلنا بالعفوِ والعافية ما أحييْتَنا.



أيّها الطبيب حافظ على سمعتك

عمدةُ الطبيب سمعته الطيبة، وسنامُه صيته الحسن، ومن المؤكد أنَّ من جمال عادة الناس التوجه إلى من حسنتْ سمعتُه، وازدادتْ به ثقتهم، وهذا الأمر لا يحصلُ اعتباطاً أو مصادفةً، بل من مجموعةِ الأُعطياتِ والمثيلات، يقدمها الطبيب شواهد حيةً على ذلك.

فيكتسبُ عندها هذه الصورة الجذَّابة الحسنة، من عقولِ وقلوبِ الناس، وهذا وإنْ عادَ عليه بفوائد ماليةٍ كبيرة، إلا أنّ الثناء الجميل، والمدحَ المعنوي، أكبرُ وأعلى من هذه المادة الحية.

وكمْ من مريضٍ امتدَّ به المرضُ، وازدادت به الأوجاعُ، فلا يرضىٰ أن يمسَّه غير طبيبه الذي يثقُ به، والذي أعطاهُ روحاً قويةً حتى أصبرتْه على مرارةِ المرض، ولتُلامس يداهُ مكانَ ألمهِ فيهدأ ويطمئن.

وهذه السمعةُ العاليةُ الرفيعةُ لا تُشترىٰ بمال، كما أنَّها لا تُوهبُ ولا تورث، ولا تكونُ لأي طبيبٍ مطلقاً، بل تكونُ لخواصٍ في الأمكنة أو الأزمنة والأشخاص، وأقدم إليك أموراً، يكتسبُ الطبيب من خلالها السمعة الطيبة والثناء الحسن.

أولاً: أنْ تكون أميناً في مهمتك وأدائك.

ثانياً: أنْ تعاين المريض بدقةٍ واهتمامٍ حتى تكشفَ الداء بإمعانٍ وتؤدةٍ.

ثالثاً: أنْ تصفَ الدواء المناسب الذي لا تشك فيه من قريبٍ أو بعيد.

رابعاً: أن تحرص بإخلاص على المريض، وتهتم به من غير تهاونٍ وعدمِ مبالاةٍ.

خامساً: أن تشعر مريضك بأنَّك تعيش آلامه وتسعى جاهداً لإزالتها.

سادساً: أن تكثر المطالعة وتداومها لتطلع دائماً على الجديد المبتكر.

سابعاً: أن تبعد عن ذهنِ مريضك اهتمامك بالمال ورسوم المعاينة وخلافه.

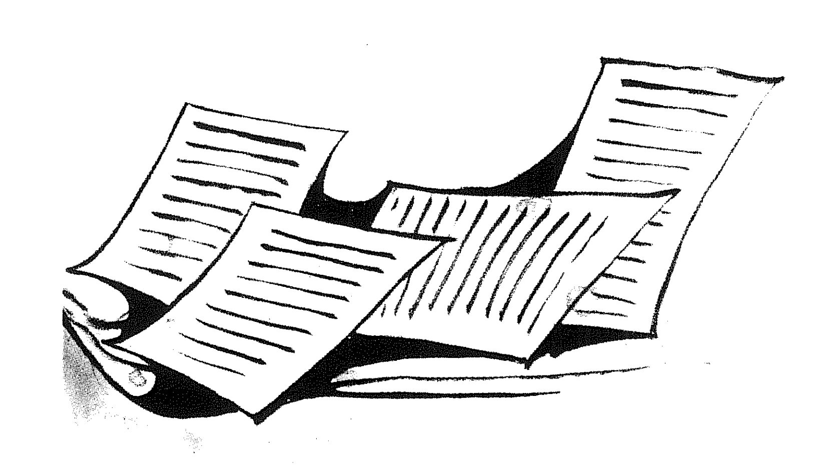
ثامناً: أن تحافظ على نظافةِ عيادتك وعدَّتك ومواعيدك، وخاصةً مظهرك.

تاسعاً: كن حريصاً على أن لا تقول لمريضك: نسيت، أو غلطتُ، لأنَّ ذلك يكلفك غالياً.

عاشراً: حاولْ أن تسأل عن مريضك بعد معاينته وتناولهِ الدواءَ وشفائه.

حادي عشر: صارحْ مريضك مصارحة تفرضها عليك مهنتك بصدقٍ.

هذه بعضُ النقاط والتي أعتقد أنها تكسبُك السمعة الطيبة الحسنة بين المجتمع والناس.



القلب

إذا أصاب الإنسان مرضٌ أسرع إلى الأطباء المهرة ليسعف نفسه وليعالج مصابه من الداءِ الذي وقع به.

وقد يجد الإنسان طبيباً حاذقاً يعالج أحاسيس قلبه، ليزيل آلامه وأوجاعه، ولكن أين هو الطبيبُ الذي يُعنىٰ بأوجاع القلب المعنوية، والتي ترتفعُ فوق تلك الأحاسيس؟

إنَّ أمراض القلب المعنوية أهم بكثيرٍ من أمراض الجسد الحسية، لأنّ القلب تُبنىٰ عليه السعادة، والشقاوةُ، والربحُ الخسران والفوز.

ولست أقصدُ بالقلب ذلك العضو من اللحم، والذي ينبضُ بالدم ليغذيَ الأوردة والشرايين في جسم الإنسان، والذي حقق الجراحون في عصرنا تقدماً كبيراً بشأنه، حيث تمتْ زراعة قلبِ إنسانٍ من إنسان آخر، وإخراجُ القلب كله من جسم الإنسان

وإجراءُ بعضِ الجراحات فيه كما يخرج الميكانيكي محرك السيارة أو الطائرة فيصلحه.

إنَّ ذلك ليس عجيباً.

فإن العلم قد تقدم وازدهر، وكلما تقدم الزمن بدا وانتشر، إنَّما القصد بالقلب،القلبُ الذي مليءَ نوراً وإيماناً، ومُليءَ حكمةً وعلماً ويقيناً، القلبُ الذي هو مركزُ النور والشعاع الإيماني، القلب السليم الطيب الذي قال عنه ربنا: ﴿**يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنون إلاَّ من أتىٰ الله بقلبٍ سليم**﴾ [الشعراء/٨٨] هذا هو القلبُ المراد المعول عليه والمقصود، كما ذكر رسولنا الأكرم: «إنَّ في الجسد مضغةً إذا صلُحت صلح الجسد كله، وإذا فسدتْ فسد الجسد كله، إلا وهي القلب» أخرجه البخاري.

والقلوبُ كما ذُكر أربعة:

الأول: قلب أجرد فيه السراج يُزهر، فهو قلبُ المؤمن سراجه نورٌ.

الثاني: قلبٌ أغلفُ مربوط عليه غلافه وهذا قلب الكافر الضَّال.

ثالثاً: قلبٌ منكوس ـ مقلوب ـ فهذا قلبُ المنافق الذي عرف فأنكر.

رابعاً: قلب مصفحٌ وهو قلبٌ فيه إيمان ونفاق.

فمثلُ الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماءُ الطيب، ومثل

النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيحُ والدم، فأي المادتين غلبت الأخرىٰ غلبت عليه.

لذا فإن القلب يحتاج دوماً لعلاجٍ فعّال مؤثِّر.

ومن الأمثلة العلاجية للقلب ما يلي:

أولاً: المداومةُ على قراءة كتاب الله تعالى، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتب قصص الصالحين، والمواعظ.

ثانياً: مصاحبة الأخيار وزيارتهم والبعد عن الأشرار ومجافاتهم.

ثالثاً: أن تخلص في عملك وأن تصدق فيه، لأنَّ علام الغيوب مطلعٌ عليك، والفضل والخير لمن صدق وليس لمن سبق.

رابعاً: أن تبتعد عن أكل مال الحرام، وأخذ أموال الناس بالباطل وأن تحرص على أكلِ الحلال دوماً.

خامساً: أنْ تحافظ على الفضائل والمحاسن، وأن تبتعد عن الأضداد والرذائل.

إنْ فعلتَ هذا، حفظ الله قلبك من الشواغل، وجعلك من خواصه الأبرار.

اللهمَّ طهر قلوبنا من الشك والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق.

لماذا؟ أيها الطبيب

يظن بعض الأطباء صواب ما يفعله، وواقعية ما يقوم به، ويسيرُ في عمله مخطأً وجازماً أنَّه الحق، وأنَّ كثرة الناس في عيادته، وتوافدهم إلى دارته، دليل الرضا عن أفعاله وأعماله وتصرفاته، ليس ذلك الأمر، بل لأنَّ الضرورة قادتهم إليه وهي ملحةٌ، بغية الحفاظ على صحتهم، وأنَّهم لم يظهر لهم الخطأ الذي يسير عليه، والنهج الذي يمشي إليه.

والداعي لذكر هذه المقدمة، أنَّ شقيقتي الكبرىٰ ـ أم كمال حفظها الله ـ أخبرتني بعد زيارتها لطبيبٍ ما، خبراً حرك فيَّ الكوامن، وأرعدَ فيَّ الفرائض، ذكرت لي دخولها العيادة المعتادة، فوجدتْ جماعةً يجلسون على شكلِ صفٍ منتظمٍ على باب كتِبَ فوقه تعرفةُ المعاينة بـ عشرة آلاف ليرة لبنانية ـ يومها ـ، ووجدتْ جماعةً يجلسون على شكل صفٍ منتظم ـ وهم من الصف

الأوَّل ـ على شمال بابٍ كتب فوقه تعرفةُ المعاينة بـ خمسة آلاف ليرة لبنانية.

وما الفرق بين هذين الصفين؟

يدخلُ الأغنياءُ أصحابُ التعرفة المرتفعة أولاً حتى ينتهي منهم. وبعدها يدخل الفقراءُ، أصحابُ التعرفةِ الثانية.

والمفاجأة إنْ جاء أحد المرضىٰ ووقف في صف التعرفة المرتفعة فإنَّ الطبيب يترك معالجةَ أصحاب التعرفة المتواضعة ويدخل الغني القادر على هذه التعرفة ويعالجُه، وهكذا دواليك.

سبحانَ الله، عجباً من زمنٍ صارتْ مقاييس الناس فيه بالمال والجاه، وصارت النظرةُ إلى المريض نواةَ استفادةٍ، وأصبح زبوناً.. نعم زبون مادةٍ تُوصل إلى الغنىٰ.

أيها الطبيب..

هبْ أنه جاءك فاسقٌ غنيٌ مريضٌ، وبين يديك صالحٌ فقيرٌ مريض، فماذا تفعلُ؟ تتركُ الفقير الصالح وهو أولى بالمعاينة لأنه بين يديك، وتنشغل عنه بالفاسق المريض وهو جاء بعده.

أين أمانتك التي بين يديك، وعدلُ مهنتك التي تحملها في قلبك، تتركُ الفقير يتلوىٰ من ألمه وأوجاعه، إلى غنيٍ تتلمَّسُ منه الرضا حيثُ وراءَه تعرفةٌ عاليةٌ.

فاتقِ الله، واتقِ الله، واتق الله، ولتكنْ معاملةُ الناسِ عندك

سواء كأسنانِ المشط، ولتكنْ خدمتُك لهم خدمةَ شرفٍ وعزةٍ كما ذكرنا سابقاً.

وإليك هذا المثل علَّك تتعظُ به.

أعرفُ طبيباً بلغ من العمر عتياً بعد طول جهادٍ وخدمة وعمل، إذ كان أيام شبابه يداً طبية طيبة، وحكيماً حكيماً، ذو عزيمةٍ قويةٍ ثابتةٍ، ويقينٍ عجيب لا يُضاهى.

ولكن لأمرٍ قدرهُ الله وقضاه، لم يرزق بأولادٍ، ولا ذرية، فكان للكبير أخاً، وللصغير أباً، وللمصاب مواسياً، فقد حسنت معاملته، إذْ كان يجود بماله ووقته في سبيل إسعاد الآخرين.

فنعم الطبيبُ، ونعمَّا هي تلك المهنة الكريمة، فقد زرتُه بعد أن أقعده كبرُ سنه واعتزل جبراً مهنته، وكان ـ كما ذكر ـ يتمنى أنْ يبقى متحلياً بالإستطاعة ليخفف عن الآخرين آلامهم وأوجاعهم.

ولكن: لكل شيء إذا ما تمَّ نقصانُ، ولكني قد وجدته قد مليء ثقةً بنفسه، وارتوتْ نفسه إيماناً، في أهدأ بالٍ، وأحسن حالٍ، فسألته عن أحواله وأوضاعه غيرةً ومحبةً، فتبسم ابتسامة شكرٍ وثناءٍ على الله تعالى، وذكر لي عبارة كريمة حفظتها قال:

إن الكريم إذا كبا وجد متكئاً لكبوته.

وقال: إن لي أولاداً كثيرون، ما تركوني ساعة، وما زالت زياراتهم واهتماماتهم تحوطوني إلى الآن، ففهمتُ أنَّ أولاده

الذين قصدهم، هم الذين كان يطببهم ويعاينهم ويخفف أوجاعهم، ويحسنُ إليهم، وقد غرسَ في قلوبهم ونفوسهم ـ بحسن معاملته ـ حبَّ الوفاءِ والودِ، وجاء الآن وقتُ الوفاء.

نعم لم يتركوا له حاجةً يريدها إلا نفذوها، وحققوها له، ولا أمراً إلا أجابوه إليه.

هنيئاً لك أيها الطبيبُ، عشت رضياً وختمت مهنتك هنياً ورحلت إلى ربك نقياً. لمثل ذلك فليعمل العاملون «إنْ أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإنْ أسأتُم فلها».

اعمل ما شئت كما تدينُ تُدانُ.



قصة رأيتها بأم عيني

أعرف شاباً يافعاً من العمر، يعمل بكده ليأكل وأمه، وإلاّ باتا من غير طعامٍ طاووين، ومن المعلوم أنَّ المهنَ اليدوية المحفوفة بالمخاطر، قد يتعرض صاحبها للمصائب، بغية الكسب والكد والسعي، سداً لمطالب الحياة العجيبة الغريبة.

و لأمر قدَّره الله وقضاه، أصاب الشاب حادثٌ من غير قصد، بعد أن تعثَّر ووقع أرضاً، فكسرت رجله من الساق، وقد زرته لرحم بيني وبينه، وكسباً للأجر والثواب، ومدِ يد المساعدة لفقره وحاجته، فرأيت المصاب في رجله وقد انتفختْ وتورمتْ وتغيرت، فلم أجد بُداً من إدخاله المستشفى.

فلما رآه الطبيبُ امتلأ تعجباً واستغراباً، كيف هو الصبر على مُصابه وألمه؟!

ولكن ألمْ يعلم أنَّ الفقر عجائبه كثيرة ومجربة، فأمر له فوراً

بصورة أشعةٍ كلفتها كذا وكذا . . فإذا بالطبيب قد خرج يلوِّح برأسه متصنعاً الأسف والحزن ـ كما رأيت ـ وهو يقول: يا شيخ . . . إن المريض يحتاجُ إلى عمليةٍ لوضع سيخٍ في رجله وإلا فهو يعرض نفسه للخطر .

والمرءُ إن داهمه الخطر ، أو لحق عضواً من أعضائه التلف ، أو لفَّه ألمٌ شديد، نسي ما يملك من المال والمتاع ، وبذل كل شيءٍ رجاءَ العافية ، ودفع هذا الألم عنه ، ولكن كما يقول المثل : العين بصيرة واليد قصيرة .

الشاب الكادح لا يملك ثمن ربطة شاشٍ فضلاً عن إجراء عمليةٍ لرجله، بيد أنَّ للخير رجالاً ، وللفضائل أخياراً، يحملون هموم الناس، ويكفكفون دمع المتألمين ويبلسمون جراح المثخنين .

ولي الفخر أن أكون عضواً في صندوق الزكاة، التابع لدار الفتوى ـ والذي يسعىٰ سعياً حثيثاً ـ رئيساً وأعضاءً ـ لخدمة مجتمعنا ، وسد حاجاته على قدر الإمكان، حتى عمَّ خبره ، وكثر نفعه ، على جميع الأراضي اللبنانية .

فطلبتُ من الطبيب إجراء هذه العملية، حتى لا نعرض الشابَّ للخطر ، وحملت أوراقه إلى صندوق الزكاة حيث وافق مشكوراً على دفع جزءٍ غير يسير من كلفة العملية ، وبعدها زرته مستلقياً في فراشه وقد عادت البسمة إلى شفتيه ، وقد استرجع بها

لون بشرته، وامتلأ فرحاً وسروراً.

وحمّلني التحية والثناء لتلك الأيادي الطيبة، التي سخَّرها المولىٰ لخدمة البشر.

«سبحان ربي الأعلى، صاحب الحكمة والحكم،فبعد مدةٍ من الزمن خرج من المستشفى، يتوكأ على عصاه، ويحمل ألمه بين يديه، والأملُ قد علاه، ينتظر الشفاء قرابة الشهر حتى تزول آثارُ العملية والجفصين، والسيخُ الذي بداخل رجله يربط عظمه المكسور ببعضه.

وقبيل انتهاء تلك الأيام، ازداد ألم رجله، فأسهر ليله وأصبر نهاره، حتى راجع طبيبه لأول مرةٍ فأعطاهُ مهدئاً ومسكناً، ورغم فقره، فقد أخذ منه مبلغاً وقدره.... بعد أن استدانت والدته من جارةٍ رقتْ لحالها.. والعجب أنَّه رغم تناوله الأدوية المسكنة ازدادت آلامه وأوجاعه، فحكم له الطبيب بنزع السيخ فوراً، وأخبره أن تكلفة ذلك كذا كذا من المال..

ولكن كيف يعود إلى الطبيب، ولا يوجد بحوزتهم ثمن قوت يومهم وطعامهم وشرابهم، بل بقى الشاب يعضُّ على جرحه وألمه، إلى أن طرقت والدته بأبي تستنجد لأدرك ولدها بمساعدةٍ أخرى.

ولكن.. العجبُ كل العجب من هذا الشاب الصابر الصامت..

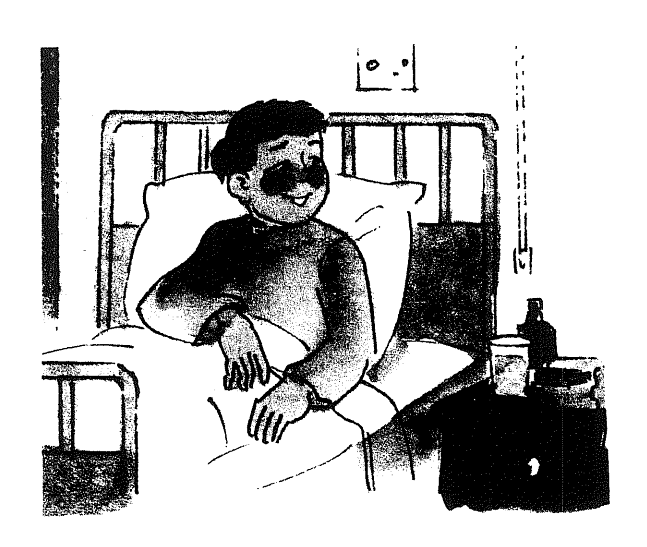
تحكي لي والدته وتقول: لما طلب منهم الطبيب كلفة نزع السيخ، حملته إلى البيت، وخرجت لتدبر أمرها، وتجد مخرجاً لبلائها، فعادت وقد رأتْ أمراً عجيباً مريباً، الدماء في أطراف غرفة ابنها قد وشت الأرض، ماذا حصل؟ وأي شيء تغير؟ الشاب لم يستطع صبراً على ألمه، فأخذ سكيناً، وأزال الجص ـ الجفصين ـ عن قدمه، ثم قطع بعض لحمه ـ وهو يتصببُ عرقاً ـ وأحضر آلة ـ بانسة ـ وفكَّ السيخ وأخرجه من قدمه، ولكنَّه ذاق مرارة الموت وسكراته، وكادت روحه أن تزهق لولا أن أدركتهُ والدته فسدت بالقطن جروحه، وداوتْ بالسلفكول قروحه.

ولضيق ذات اليد، فقد حمل إلى طبيب في دمشق لمجانية الطبابة وقلة كلفتها، فتمتْ معالجته بمعرفتنا، وردت إليه العافية، بعد جهاد استمر ما يزيد عن شهرين.

أيها القارىء الكريم، أيها الطبيب المكرم.

أيُّها الطبيب الحاذق الغيور على خلق الله، أترك بين يديك هذه القصة، وأرجو الله أن لاتكون صاحبها، أو وقع معك مثلها، وإلاَّ فعليك أن تعود إلى رشدك وترجع عن غيِّك، وتعلم أنَّ الله ملكك هذه المهنة وفيها شبهة الوقفِ للناسِ وعلى الناس، وإن لم يحمل الطبيب في نفسه قلباً واعياً، وفكراً نيراً، وشعوراً بناءً، يبثه بين الناس، وينفعُ به العباد، فهو مريضٌ يحتاج إلى طبيبٍ حاذق يطبب فيه ضعف نفسه وقلبه.

اسألُ المولىٰ الكريم، أن يزرع الرحمة في قلوب الأطباء، وأن يجرى الخير على أيديهم . . . آمين .



أطباء عرفتهم

إنَّ والدي رحمه الله تعالى، يملكُ منزلاً في منطقة الباشورة، وهي الآن قيد الهدم، حيث تملكته شركة سوليدير بحكم القانون، ويقع منزلنا بعد جبَّانة الباشورة، في أول المنطقة التجارية.

والناس في ذاك الزمن، سنة ١٩٥٥ كانت تربطهم المودة ويحوطهم الشعور وتلفهم الغيرة.

وقد كان لنا جارٌ فوق منزلنا في الطابق الثالث، إنَّه نعم الجار، طبيبٌ مشهورٌ بتواضعه، وبجمال منطقه، وحسن مسايرته ودقةِ ملبسه، فقد كان يحمل غالباً محفظته السوداء، يضع فيها لوازمه الطبية، وبعض الأدوية، ويلبس ثياباً قاتمة، ويضعُ على عينيه نظارتين، ويعلو رأسه طربوشٌ أحمر، تحته كنف العلم والعطف، إذا رأيته أوحى إليك مظهره كمال الإخلاص، وصفاء

العمل، وصدق المهنة، إنَّه **الدكتور مصطفى سعادة** رحمه الله تعالى، فقد كان طبيب العائلة، ولا أعرف طبيباً غيره يعالجنا ويقف معنا، ويصف لنا الدواء، ولطالما كانت والدتي رحمها الله ترغمه مراتٍ وكراتٍ ليأخذ النذر اليسير من المال لقاء خدماته، ولكنَّه مرة يأخذ نذراً يسيراً، ومرةً أخرى لا يلتفت إلى ذلك.

فإن أخذ أخذ وهو مستغنٍ، ولسنا الوحيدين بهذه المعاملة، فقد كانت معاملته هذه لأغلب الناس حيث هذه هي حياته. كان يأخذ من الناس كفايته، ولا يقصد الفاحش من الغنى، بل كان يكفيه القليل، ومن الناس الدعاء، رحمك الله يا دكتور مصطفى وأكثر من أمثالك.

ولقد أصاب يدي مرةً التهاب شديد ـ واذكر الحادثة وأنا صغير السن ـ، فأخذتني والدتي رحمها الله تعالى وأسرعتْ بي إلى طبيبٍ رأيت فيه سيما أهل الخير وعلامات أهل الصفاء.

عيادته في منطقة المصيطبة ـ على الحاوز ـ واليوم يوم جمعة، والناس يزدحمون على بابه، يعلل انتظارهم امرأةٌ كبيرةٌ في السن تساعد الطبيب ـ هي النارس ـ.

وحان دورنا فدخلت والدتي إلى الطبيب، فلمّا رآني ربت على كتفي غارساً الثقة بي.

ثم بدأ بمعالجتي، وأعطاني الدواء ودعا لي بالشفاء، فخرجتُ ووالدتي والبسمةُ على شفتيها.

فسألتها لماذا لم تعط الطبيب أجرته فقالت: إن الطبيب يفتح عيادته يوم الجمعة يطبب الناس لوجه الله تعالى، ومن غير مقابل، قلت لها ما اسمُ هذا الطبيب قالت: إنّه **الدكتور عبد الحفيظ طبارة**، رحمك الله يا طبيب الخير والشعور.

وكم من طبيب يخفي أعماله وأياديه البيضاء، ويعملُ متخفياً رجاء رضا ربه تعالى، وقد عاصرتُ طبيباً أذهلني فعله، وزادني إيماناً تصرفه، إذ هو من جملة الأطباء الذين نعتقد أنَّهم من الصالحين، ويهتمون بطلبة العلم الشرعي، فقد أصابني علةٌ في فخذي مرة فلم أجد بداً من الذهاب إليه، فعالجني ووصف لي وجبات طعام خاصة، وأعطاني دواء شرابٍ وآخر مرهماً.

والمفاجأة في ذلك أنه طلب مني أن أقبل هديته، وهي عبارةٌ عن ثلاثة أشرطة تسجيل ـ بكر ـ سجَّل عليها ختمة القرآن الكريم للشيخ مصطفى اسماعيل رحمه الله.

فوقعتْ في عيني أثمنَ ما في الدنيا وأغلاه، فشكرتُه وأثنيتُ عليه.

إنه **الدكتور محمد الجزيري** رحمه الله تعالى وجزاه الله خير الجزاء.

ويوجد في جعبتي كثيرٌ من الأمثلة التي يطول ذكرُها.

إن في هذا لذكرى لك أيها الطبيبُ الكريم.

وما زال الزمنُ يكرمُ أهله بأمثالكم علماً وغيرة وشعوراً. فشدوا العزم، وأثبتوا وأيقنوا أن المرءَ لا يملك إلا ثناء الناس عليه، ولن يجد إلا ما قدَّم إنْ خيراً فخير، وإن شراً فشر.



قصتي مع الدكتور اسطفان

أنا بفضل الله تعالى أتمتعُ بصحةٍ رياضية كاملةٍ من جميع الأطراف، فقد عشتُ قرابةَ أربعين سنة، لا أشكو ألماً، ولا وجعاً، ولا صداعاً، سوى ما يعانيه الأصحاءُ من هنّات بسيطة عادةً، ضف على ذلك أنني رياضي مارستُ الرياضة قرابة ثماني سنواتٍ نلتُ خلالها بطولة لبنان، وبطولة بيروت في المصارعة الرومانية سنة ٦٦ ـ ٧٦.

وكيف تستقيم الصحة والدنيا محفوفةٌ بالكدر، وكيف تستمر العافية والمرءُ محفوفٌ بالخطر، فما هي إلا سنوات مضتْ، حتى أصابني الامتحانُ والابتلاءُ، والمرءُ العابد يوفِّيه المولىٰ أجره في الدنيا والآخرة.

فقد أصبت سنة ١٩٨٨ في شهر أيلول بشدة خفقانٍ في القلب، فقرر الأطباء عملية تمييل لكشفِ السبب، وبعد إجراء

عملية التمييل صرتُ من ذاك الحين، أحملُ دوائي في جيبي متوكلاً على ربي.

وما أقصده من هذه الخلاصة، أنَّه خلال معالجتي والبحث عن طبيبٍ حاذقٍ يقف على حقيقة ما أصابني، حيث هو أمرٌ مفاجيءٌ،دلني الأستاذ محمد يونس مديرُ مدرسة خليل شهاب، والتي كنت مدرساً فيها مادة الدين واللغة العربية، دلني على طبيبٍ أكسبه الزمن خبرةً، فقد كان معلماً ومرشداً لطلاب الطب في الجامعة الأميركية ـ كما قال لي ـ فقد استوطن المعرفة، وحكمتُ أنَّه من الأطباء النَّادرين بثلاثة أمورٍ:

أولاً: تلك التجاعيد على فسحات وجهه التي خبر بها الزمن، وعاصر بها أهل الطب على حقيقته.

ثانياً: من لمسات يده، ودقة ملمس أصابعه، وهدوء نفسه، والأسئلة التي كان يسألها.

ثالثاً: إنَّه مخضرمٌ عاش الزمن الأول، حيث كان الطب خالياً من الشوائب وعاش العصر الممتلىء بالتطور والتدرج.

أجل إنَّه الدكتور أسطفان، الذي رحّب بي أجمل ترحيب، وأحلى لقاء فيه ودٌ، والعجب أنَّه بعد أن ذكرت له مصابي، بدأ بإجراء الكشفِ والفحص بكل دقةٍ ورقةٍ وغيرةٍ عجيبة، وبعدها زرع فيَّ طاقةً من الإطمئنان، على خلاف من ذهبت إليهم من الأطباء، فوصفَ لي الدواء كتابةً، واستدار إلى صيدليته فناولني

الدواء، وزودني ببعض النصائح الطبية ـ التي لم أجدْها في عيادة غيره ـ وما زلتُ أحتفظُ بها.

وعلى العادةِ المتبعة، فقد وضعتُ يدي في جيبي لأخرج بعض المال، فأمسك على يدي، وتمنى عليَّ أن أرد ما أخرجتُه، بعد هذا كله قلتُ في نفسي: إنَّ وراء هذا الطبيب سرٌ غريبٌ، وأمرٌ عجيبٌ، فما كان منه إلاَّ أن طلب مني برفقٍ أن أجلس عنده برهة من الزمن.

فبدأ يختار أحلىٰ العبارات، وأطيب الكلمات، فمدح العلم والعلماءَ، وذكر محبته ومودته لهم، وأنَّه يجلُّهم ويقدرهم ـ وهذه هي تعاليم والده ـ فذكر لي شيئاً عن والده ودراسته، وأنَّه كان طبيباً متخصصاً مثله في أمراض شرايين القلب، وأمرهُ أن يحب العلماء، خاصةً الذين تخرجوا من الأزهر الشريف أمثالنا.

والسبب في ذلك أنّ والده تلقىٰ علومه في مصر، ودرس على الشيخ المرغني ـ وقال رحمه الله ـ كان شيخ الأزهر يومَها، فقد درس عليه عدة علوم، كاللغة العربية، والمنطق، والاسطرلاب، وعلوم الهيئة، وغير ذلك من العلوم.

من أجل هذا أنَّه يحب العلماء ويقدرهم، ويعمل بوصية والده الذي كان محباً للعلماء، ويقدم لهم الخدمات المثالية، وفاءً لوالده وحباً بالعلم والعلماء.

أين أمثال هؤلاء الأطباء الذين يعرفون قيمة العلم والمعرفة.

فعصرنا يفتقرُ إلى سواعدهم، وهممهم، ولا زال الخير في أمةٍ تُقدر الإنسان، وترفعُ شأنه، وتحترم العلماء لما يحملون من قيمٍ وُمثلٍ عالية.

حادثة غريبة

المرءُ بطبعه يميلُ إلى التجانس والتآنس، ويرغبُ باللقاء الودود بين الأحبة والأخيار، وكم هو جميلٌ إن كان أهل العلم والمعرفة والثقافة، يعمهم مجلس الصفاءِ والوفاء، من هذا القبيل، كنتُ في مجلسٍ ضمَّ هذه النوعية النفيسة الطيبة، ومن بينهم صديقٌ لي يزاول مهنة طبيب أشعة.

والحديث ذو شجونٍ وشؤون، يحرك الكوامن، ويقدح زند الأفكار، فذكرتُ قصةً فيها حلاوةٌ وعليها طلاوة، قد أضفتْ على الجوَ فرحاً وسروراً.

فإذا بالطبيب الصديق يقول: أذكر لكم قصة حصلت معي حقيقةً، فقد أتتني امرأةٌ تحمل بين يديها تقرير طبيب، يطلب فيه صورةً شعاعية، والغرابة أنني رأيت هذه المرأة تحني ظهرها ملتويةً، فسألتها عن السبب فقالت: لا أدري ألمٌ شديد في بطني، فقرأتُ التقرير فظهر أنَّه قد تمَّ لها إجراء عمليةٍ جراحيةٍ لاستئصال

قطعةٍ من الأمعاء. فأخذت لها الصورة الإشعاعية المطلوبة، ويا لهول ما رأيتُ. . . رأيت في الصورة بعد تحميضها مقصاً صغيراً داخل بطنها يكاد يفجّر مرارتها، وعلى الفور وضعتُ الصورة في ظرفٍ مختوم، وأرفقت التقرير وسلمته لمعاونٍ عندي، وأرسلته إلى الطبيب الجراح الذي أجرى العملية حفاظاً على سمعة الطب ووفاء لها.

ثم بعد ذلك اطمأننت على هذه المريضة المسكينة فعلمت إنَّ عملية إخراج هذا المقص قد تمّت، وعادتْ إليها صحتها. إذ كانت هذه المشكلة هي سببُ آلامها.

وصدقت النكتة التي كنَّا نسمعها سابقاً:

إنَّ طبيباً أجرى عمليةً جراحيةٍ ونسي المقص في بطنِ المريض.

وكنت أذكر هذه القصة أمام أخي الدكتور عبدالله العجوز حفظه الله تعالى فقال: صحيح يوجد امرأة في ساقية الجنزير اسمها. . . .، قد حصل معها مثل هذه الحادثة.

انتبه أيُّها الطبيب فالنَّاس قد وضعوا ثقتهم بك، كن حذراً لا يشغلك شيء عند أداء مهمتك، فهي أمانةٌ في عنقك، فحافظْ على سمعتك فعليها مدارُ العمل.

أعرف طبيباً

الشهرةُ تكسبُ المال، وتعلي المرء جاهاً ورفعة، وشهرةُ الطبيب لها طريقان:

إمّا أن تغرقه وينغمس بها فيعيش حياته الظاهرة، وينقلب في رغيدها ونعمائها ولهوها وغرورها.

وأما أن يتعالىٰ عليها فينموا نمواً حسناً ورطباً، فيعيش نمط العزة والرفعة، متمتعاً بقلبٍ مفعمٍ باليقين مملوءٍ بنفسٍ ثابتةٍ عظيمة.

وإنْ كانت الشهرة تجر المال والغنى، إلاّ أنَّ ثقة الناس والمجتمع هي أعظمُ رأس مالٍ للطبيب الذي غُرس في قلبه ونفسه وضميره خدمةُ الآخرين، والإخلاصُ لهم، والسهرُ على راحتهم، والاهتمام بهم، والحرص على سلامتهم ورعايتهم، والوقوف معهم في صعابهم.

وقد عاصرتُ طبيباً منذُ عشرين سنة، نما مع الزمن، واغتنىٰ مع الأيام، وعيادتاهُ تغصُّ بالمرضىٰ دوراً، حتى أن الناظر إليه حين يراه يدخل مريضاً فيضعهُ على كرسي المعاينة، ويدخل آخر فيضعه على «بنك» طاولة الفحص، وآخر يحاوره على مكتبه ليصف له الدواء سريعاً يَحْكُمُ أنَّه دينمو متحرك، قادرٌ على جمع هؤلاء المرضىٰ وعلى فهمِ أمراضهم، ووصفِ الدواء المناسب لهم، فضلاً عمَّن يحيلهم إلى المستشفى، ليعين لهم موعد إجراء العمليات الخاصة.

كل هذا الجهد، والسعي والدأب من العمل سعياً وراء المال، حيث الباب مفتوحٌ على مصراعيه يدخلهُ المالُ كيف شاء.

والغرابة أن التسعيرة بالدولارات ٦٨ دولاراً.

والغنيُ الكافي للعباد هو الله تعالى، صاحبُ الأرزاق، وهو الرزاق ذو القوة المتين.

والغرابة في هذا السؤال؟ أين تذهبُ أموالُ هذا الطبيب، وما شابهه من الأطباء الأغنياء. . .

وفي الحديث: لو أنَّ لابن آدم وادياً من ذهب لأحبَّ أن يكون له ثالثاً، ولن يملأ فاهُ ابنِ آدم إلا التراب، ويتوبُ الله على من تاب.

الجواب: إنَّ لهذا الطبيب زياراتٍ موسميةً متكررة إلى بلدٍ

أجنبي، حيث يملك مسكناً هناك، ولكنْ هذا الطبيب مريضٌ مرضاً من نوعٍ آخر، إذ هو طبيب عليلٌ مدمن، يحتاج إلى دواءٍ فعَّالٍ غير الأدوية التي يصفها هو للناس، وإدمانه ليس على الكحول والخمور، لأنَّه يعلم أنَّه لا عافية مع ذلك، ولا على تعاطي المخدرات، لأنَّه يوقن أن مآل ذلك إلى الهلاك والردىٰ، ولا على التدخين لأنَّه يسوِّد الرئتين ويسرطنهما، بل إدمانه على مائدةٍ نوعيةٍ فريدةٍ، لا يوجد فيها طعامٌ، ولا غذاءٌ، ولا شرابٌ، بل هي مائدة القمار، تلك الطاولة الخضراء المستديرة التي يظن أنّ حديقته الغناء فيها.

ففي كل زيارةٍ موسميةٍ معتادة إلى تلك البلدة، ينفضُ جيوبه وما ملك، ويأتي إلى بيروت خاويَ الوفاض بجيوبٍ بيضاء ثم يعود ليزاول عمله، ويستعيد عافية إفلاسه، فإذا ما ملك، عاد إلى تلك المائدة يقامرُ ليس بقصد الغنىٰ والربح، بل لسدِّ رغباته، واتباع نهمتهِ، وليلتقي رفيقات السوء، وأبالسة الأسىٰ.

أيها الطبيب المريض المدمن، إنَّك بحاجةٍ إلى دواء فعال، يُبرىء فيك سقمك ويردَّك إلى شرف مهنتك.

ـ أين فيكَ العقل والفهمُ والعلمُ؟
ـ أين فيك الذكاءُ والدهاءُ والحكمة؟

ـ هل نسيت أو تناسيت القسم؟
ـ هل غفوتَ أو غفلت عن عهدك؟

- إنَّ طريق النَّصح بين يديك يقصدك المرضى؟
- إنَّ طريق العودة لم تغلق فعد تغنم؟
- حاسب نفسك فيما تفعل قبل فوات الأوان؟
- حاسب ضميرك في كسبك، كيف؟ وأين؟ وإلى متىٰ؟



حكم معاينة الرجل للمرأة

دينينا يدعو إلى العلم، والتزود من أبوابه ولم يفرق الدين بين الذكر والأنثى، حيث النساء شقائقُ الرجال في الأحكام التي وضعها الشرعُ الكريم، وكما الرجلُ المرأة، فإنَّه من الجميل منها أن تكسب المهارة، وتحيط بمهنةٍ تناسبها تأمن بها على نفسها وعيالها، من عواقب الزمن العاتي، واليوم العاثر.

ومن المعلوم أنَّ مهنةَ الطب مهنةٌ لها قيمة ـ كما تقدم وذكرنا في الأبحاث الماضية ـ لأنها تحملُ في طياتها الدقائق، وتربطُ الناس ببعضهم بحسن العلائق.

والرجلُ المريضُ يجب أن يميل بطبعه إلى الرجل الطبيب ليطببه ويعاينه، والمرأةُ المريضةُ يجب أن تميل بطبعها إلى المرأة لتطببها وتعاينها، وعليه يلزم أن يكون في المجتمع طبيباتٌ حاذقاتٌ فاهماتٌ واعيات، لسد حاجات المجتمع الإنساني.

ومن أرقىٰ المحامد في عصرنا الاهتمام بالمرأة ضمن الضوابط الشرعية والأخلاقية المطلوبة، والتي تأمر بها الشرائع مطلقاً في جميع المجالات، وخاصة في مجال الطب عامةً، حيث الحاجة داعيةٌ إليها بطلب وإلحاح.

والمرأة تملك عزماً وثباتاً لا مثيل لهما، لتثبت قدرتها، وإمكانيتها، على ضعف بنيتها ووضعها الخاص، وذلك بحكم التجربة والمعاينة التي طرحتْ نفسها في عصرنا الحاضر.

والأمثلةُ كثيرةٌ وشاهدةٌ على ذلك.

وإن اكتسبتِ المرأةُ هذا العلم، وأصبحتْ من الطبيبات الماهرات أضع بين يديها ما يلي:

أولاً: إن المرأة باكتسابها هذه المهنة، قد أسقطت الإثم عن الناس لأنَّها قامتْ بهذا الفرض الكفائي.

ثانياً: تكسب الأجر والثواب من المولى في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: تقلبُ المفاهيم المغايرة عن المرأة والتي تقول: إنَّ المرأة محرومة وممتهنة.

رابعاً: تحث مثيلاتها للقيام بمثل عملها لرعاية المجتمع والاهتمام به.

خامساً: تكون أداة خيرٍ وعطاءٍ في مساعدةِ الآخرين، وفي أداء الواجب الإنساني والشعوري.

ومن القواطع الشرعية، أنَّ الرجل لا يسمح له بمعالجة المرأة معالجةٍ مطلقة، بحيث يفتح الباب على مصراعيه، بل الأمر مقيد بالضرورة المقدرة بقدرها.

فإذا وجدت المرأة التي تحملُ الاختصاص المطلوب، وتستطيعُ أنْ تقوم مقام الطبيب الرجل، وقادرة على أداء ما هو مطلوب، وتجدُ المريضة مقصدها ودوائها عندها فلا يجوز للمرأة الذهاب إلى الطبيب الرجل. ومردُ هذا إلى الورع وإلى الحفاظ على المرأة وعلى رؤيتها وغيرتها وصيانة إنسانيتها، أمّا إذا فقد ما هو المطلوب، وتعذّر حصول ما هو مرغوب، ولم تجد الطبيبة ذات الإختصاص الذي تريده، عندها لا ترى بدًّا من المعالجة عند الطبيب الرجل، وتكونُ المرأة بذلك قد خرجت من العهدة والمسؤولية الشرعية.

مع اعتبار الاحتياطات اللازمة المطلوبة.

وأيام كنت مدرساً للعلوم الدينية واللغة العربية في مدارس المقاصد ـ صانها الله ـ عام ١٩٧٨ تفرستُ بتلميذة من آل عيتاني ورأيت بريقاً من الذكاء بين عينيها، تتوقدُ فهماً وفطنةً، حيث كانت من المجتهدات الثابتات.

وقد أشرتُ عليها موجهاً أن تثابر على طلب العلم والدراسة، وتدخل في مجال الطب لتكون طبيبة تختص في معالجة النساء، حيث الحاجةُ تطلب ذلك، لأنَّ الكثيرات من

النساء يجدن حرجاً في الذهاب إلى الطبيب.

وتدورُ الأيام وتنقضي بعضٌ من السنين، فإذا بي ألتقي بوالدها وقد حمَّلته ابنته سلاماً يبلغني إياه، ويخبرني لأول وهلةٍ أنَّ ابنته قد أصبحتْ من الطبيباتِ الماهراتِ، وأنها قد عملتْ بإرشاداتي، وأصبحتُ ولله الحمد ذات مكانةٍ مرموقةٍ.

وهذا فضلُ الله يؤتيه من يشاءُ.



حادثة رأيتها وعلمتها

أعرف امرأة زابلة المظهر، متعثكلة المخبر، جار عليها الزمن، فألبسها مسوح الحاجة قهراً، فغيَّر صباها إلى امرأة عجوزٍ شابة، فقد نأ الدهر عليها بكل أثقاله، وصبَّ عليها جوامع أحواله، وإذا نظرت إليها حسبت وجهها مجموعةً من المآسي والنوائب، فقد قصدتني تنهمر دموعها وكأنها تحكى مسافاتٍ طويلةً من الآلام والآهات.

فقد سيطرتْ عليها الأمراض، وحفت بها الأوجاع، فقالت ـ ودموعها الغزيرة تسيل على خديها ـ بأنها ذهبتْ إلى الطبيب. . . لما علمته ذا شهرةٍ عالية وتخصصٍ رفيع، آملةً أنْ تجد بين يديه الخير والشفاء والبلسم.

فشرحتْ له أسباب مرضها، وسلسلت له تدرج بلائها، فما كان منه ـ كعادة الأطباء ـ إلاّ أنْ قام بمعاينة مكان الألم ليصف

الدواء المناسب، وبين يديه سكرتيرة «تروح وتجي» تلبي طلباته وتستجيب لأوامره.

وبعد وقتٍ غير قصير انتهى من عمله، فشكرت صنيعه بالثناء والكلام والطيب، فقال بابتسامةٍ عريضةٍ: أنا أقوم بواجبي، قالت: ثم كتب لي وصفةً فيها أربعة أدوية وحدد لي مواعيد تناولها مع الطعام والشراب، وحان وقت الخروج من العيادة، والمفاجأةُ التي لمْ أكنْ أتوقعُها ومستعدةٌ لها، رسم المعاينة كم. . . ؟ خمسة وسبعون ألف ليرة لبنانية يا سلام. . . عندها حصل بيني وبين السكرتيرة نقاش بارد، خشية لفت الأنظار من الحاضرين، وأنا ـ والمولى يعلمُ ـ لا أملك بعد البحث في زوايا الحقيبة سوى أربعين ألفاً، فبعد تمتمةٍ عبر أثير الهاتف مع الطبيب أصدر حكمه «لا بدَّ من دفع رسم المعاينة كاملاً غير منقوص» وبعد التي واللتيا، تمَّ الرضا أن أدفع الأربعين، وأخذ عليَّ العهد بدفع الباقي لاحقاً، فوعدت مجبرة على ذلك حتى أخرج من دائرة الحرج، ولكن قد امتلئت أسى وحزناً، ومما زاد الطين بلةً، والأمر تعقيداً أنَّ ثمن الأدوية بعد الحسم من صيدلية جلول، بلغ ثمانين ألفاً، فقد طلبتُ سلفة من المكان الذي يعمل فيه ولدي الصغير حتى أخفف آلامي، وتعود لي صحتي.

ولـم تمـض الأيـام الأربعـة إلاَّ وقـد تـدهـورتْ صحتـي، ورجعت القهقري، وعدتُ أدراجي ألماً ووجعاً، ولم ينفع دواءٌ،

ولم أتمتع بشفاء، فهاتفتُ الطبيب فأصرتْ السكرتيرة أنَّ الموعد غداً العاشرة صباحاً، ولكن ذكرتْ عبارة زادتْ مِنْ ألمي وتفاقم همي وحزني قائلة: لا تنسي أن تحضري بقية المعاينة الأولى، وكذلك رسم رد الخبر كما ذكر الطبيب.

وهنا شعرتُ وكأنَّ شيئاً بارداً صب عليَّ من كل جانبٍ، فوقفتُ متأملةً وقفة حيرة ودهشة، كيف السبيل يا ربي.. عندها لم أشعر بشيء مطلقاً إلاَّ وأنا ملقاةٌ طريحة في فراشي وحولي أولادي الصغار، تنهمر دموعهم، وقد تملكتهم الحيرة والحسرة. وهنا انتهى كلام المرأة العجوز الشابة.

تعليق:

هذه السيدة المسكينة التي حملت آلامها وأوجاعها زمناً غير يسيرٍ، لو وجدت طبيباً رحيماً، يملك قلباً محاطاً بالشعور الإنساني والرأفة، لما تعرضتْ لهذا المرض الخطير، ولما استمر حزنها وتراكمتْ أمراضها.

ولكن وجدتْ قلباً خالياً قاسياً كالحجارة أو أشد قسوة، فقلب لها ظهر المجن، وأراق الكأس بين يديها، فحطَّم نفسها، وكسر قلبها، وجعلها أسيرة أحزانها وأمراضها.

أيها الطبيب:

كنْ يقظاً وأدِ زكاة علمك، فكن منارة خيرٍ، واعلم أنَّ من

كبابه الزمن، وله يدٌ صالحةٌ طيبة، وجد متكئاً يحتاجه في أحلكِ الظروف، وتيقنْ أنَّ أمانة العلمِ تطالبك لتؤدي واجبَ العلم، وأمانتك محفوفةٌ بوابل الرحمة والرقة والرأفة والشعور.



وصيتي لك

أيها الطبيب المخلص:

يدُك يد ذهبيةٌ نادرة، وهمتك همة الأبطال النادرة، وإيَّاك التفريط في هذه الدرة المضية، والتي تقودك ـ إنْ أحسنت ـ إلى الحياة الأخروية المرضية، وضع نصب عينيك مخافة الله تعالى، واعلم أنك ستعرض على محكمة قاضيها الله، وشعارها العدل، وجنودها الزبانيةُ، وساحتها القيامةُ، وشهودها الجوارح والأعضاء، وحسابها بالخردلة والذرَّة، وحكمها مشمولٌ بالنفاذِ، والمصير فيها إما إلى جنةٍ وإما إلى نارٍ، ليس فيها ضمانةٌ، ولا كفالةٌ ولا تأجيلٌ، ولا تبديل، ولا تغيير، ولا رشوة ولا تزوير، ولا إحالةٌ ولا استئناف، فأين يذهب الإنسان وليس هناك حكمٌ غير هذا الحكم حتى يستغيث به؟

أين يذهب الإنسان وقد خذله المال والولد؟ وفرَّ منه الأهل

والأقارب واشتدَّ به الكرب.

ونشرت الصحف، وتعذَّر المخرج والخلاص، واشتدَّ الظمأ، وسال العرق، وبكت العيون، وخرست الألسن، ونصبت الموازين، وأقبلت جهنَّم تغور وتمور، تصرخُ وتصيحُ أين الكفرة الفجرة؟

أين الطغاة الظلمةُ؟ وقد برز الحق لخلقه، وتجلَّىٰ لعباده، وتحدى الخصوم والأعداء قائلاً لهم:
(لمن الملكُ اليوم) فلا يجيبه أحدٌ فيقول تعالى (لله الواحد القهار).

فعد إلى الله تكنْ من الفائزين الناجين في هذا اليوم العظيم.
والحمد لله أولاً وآخراً

وكتبه العبد المفتقر إلى ربه
الشيخ صلاح الدين فخري
في ١٩٩٦/٦/٦

المحتويات